إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الأولى ـ العدد الثانى ـ صيف ١٣٩٠ش / حزيران ٢٠١١م

وقفة نقدية مع نتاجات الشاعر الإيرانى جامى

على گنجيان خنارى*
فاطمة نصراللهى**

الملخص

ظهر فى إيران وفى القرن التاسع من الهجرة شاعر بارع وعارف سالک خلّف نتاجات شعرية ونثرية عديدة لاتزال مرجعا علميا للمحققين، وطالبى الأدب والتصوف إلى يومنا هذا. ولد عبدالرحمن جامى سنة سبع عشرة وثمانمائه فى مدينة جام فى بيت علم وورع. بدأ دراسته منذ الطفولة عند أبيه ودخل مجالس العلم، وتتلمذ عند كبار الأساتذة، وأخذ منهم العلوم المختلفة كالفقه والفلسفة والحكمة وغيرها.وله أيضا مقدرة شعرية عالية، رفعته إلى أعلى الدرجات الأدبية بين شعراء الفرس. وهو بسبب ميله إلى التصوف التحق إلى الطائفة النقشبنديه المشهورة حيث كانت تضمّ كبار مشايخ الصوفية، فالتزم بمبادئها حتى أصبح فيما بعد شيخا من شيوخها، وواعظا من وعّاظها. أما آثاره فمنها الشعر ومنها النثر، وهى تمثل براعة الشاعر الأدبية، و لاتخلو من نزعاته الصوفية، ومنها ديوان شعره الذى يشتمل على القصائد والغزليات والرباعيات والدوبيت، وهو مملوء بالوعظ والحكمة والحب الخالص لمبدأ الحياة ومقصدها. عاش جامى إحدى وثمانين سنة وتوفى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فى هرات ودفن فيها. فجاء هذا المقال كى يلقى الضوء على نتاجات هذا الأديب الإيرانى البارع.

الكلمات الدليلية: جامى، التصوف، الصوفية، العارف، الشاعر، الأديب.

---

*. عضو هيئة التدريس بجامعة العلامة الطباطبايى ـ أستاذ مساعد.
**. خريجة جامعة آزاد الإسلامية فى كرج.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د.عبدالحميد أحمدى.

Aliganjian1969@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٤/١٢هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩٠/٥/١٨هـ. ش

المقدمة

أخذ التيموريّون بمقاليد الحكم بإيران فى القرن التاسع للهجرة. وباستقرار حكومتهم شرقى البلاد رجع الأمن والسلام إلى المجتمع الإيرانى بعد أن تعرّض بسبب المنافسات السياسية لأنواع من الفتن والمحن، وفى ظلّ هذا السلام حصل تقدم كبير. وكان من ميزات هؤلاء الملوك الاهتمام بالعلم والأدب، وكان بلاطهم لايخلو من العلماء والأدباء والفنّانين، فازدهرت العلوم المختلفة فى هذا العصر بصورة ملحوظة، منها: علم الفلک، والرياضيات، والحكمة، والكلام، والفقه، والأصول، والتصوف، والشعر، والنثر. وظهرت نتاجات أدبية مهمّة على أيدى كثير من أدباء هذا العصر ومن بينهم الشاعر الصوفى عبدالرحمن جامى. (زرين كوب، ۱۳۶۳ش: ۶۳)

جامى نشأته وتطوّر حياته الاجتماعية والأدبية

اجتمع مؤرخو تاريخ الأدب الفارسى على تاريخ واحد لولادة جامى، وهو وثيق لأنّه ثبت ذلک عن تلميذه الذى كان يعيش فى عصره وهو عبد الغفور لارى حيث يقول: «كان مولده فى خرجرد فى جام وقت العشاء الثالث والعشرين من شعبان المعظم سنه سبع عشر وثمانمائه.» (لارى، ۱۳۴۳ش: ۳۹) و عن اسمه ولقبه يقول: «كان لقبه الأصلى عماد الدين، ولقبه الذى اشتهر به نور الدين، واسمه عبد الرحمن.» (المصدرنفسه: ۳۹) ولقد أشار جامى نفسه إلى تاريخ ولادته فى قصيدة سماها رشح بال بشرح حال:

– فى سنة سبع عشر وثمانمائه من الهجرة النبوية.

– جئتُ من عالم الملكوت إلى عالم الملک، أى هذه الدنيا الفانية. (جامى، ۱۳۴۱ش: ۵۹)

وفى مقدمة ديوان أشعاره «فاتحة الشباب» يتحدّث عن مولده وسبب تخلّصه بجامى بقوله: «وبما أنَّ مولد هذا الفقير كان فى جام، وفيها المرقد المطهر والمشهد المعطر لشيخ الإسلام أحمد جامى اخترت لنفسى جامى.» (جامى، ۱۳۸۳ش:۱۶)

وقد ذكر سبب تخلصه فى القصيدة السابقة قائلا:

– مولدی جام وقدرة قلمی مستمدّة من وجود شیخ الإسلام أحمد جامی.

– لهذین السببین جعلت تخلصی الشعری جامی. (جامی، ۱۳۴۱ش: ۷۶)

وأبان عبد الغفور لاری عن نسب جامی بقوله: «کان والده أحمد بن محمد الدشتی من سهل إصفهان وهی من أحیائها. وجدّه مولانا محمد تزوّج من إحدی بنات الإمام محمد الشیبانی وکان مولانا أحمد والد جامی منها.» (لاری، ۱۳۴۳ش: ۴۰)

دراسته

«هاجَرَ والد جامی، نظام الدین الدشتی، وأهله من سَهل إصفهان إلی جام وشغل منصب القضاء والفتوی.» (آل رسول، ۱۳۸۳ش: ۱۲) فبدأ جامی مشواره الدراسیّ هناک تحت إشراف أبیه المباشر وهو فی سنّ الطفولة، کما یشیر إلی ذلک لاری بقوله: «ذات یوم دار الحدیث عن أساتذته، قال: إننی تلمیذ أبی حقّا، فقد تعلّمت اللغة منه، وبَیّن أنّه تعلّم الصرف والنحو عند أبیه.» (لاری، ۱۳۴۳ش: ۱۱)

ثم انتقل جامی لمّا کان شابّاً مع أبیه إلی مدینة هرات، یقول عبد العلی نور أحراری: «هاجر نظام الدین أحمد وولده عبدالرحمن من جام إلی هرات عاصمة خراسان. کان شاهرخ التیموری حاکما ذاک الزمن علی ملک خراسان الواسع، ومن أثر اهتمامه أصبحت هرات من أعظم المراکز العلمیة. ولم یکن جامی قد بلغ سن الرشد آنذاک.» (جامی، ۱۳۸۳ش: ۱۹)

التحق جامی بمجالس العلم فی هرات، وهو شابّ مستعدّ لتلقّی العلوم، تقول آل رسول: «قداستقبلت مجالس الدرس ومحافل العلم والأدب فی هرات هذا الطفل المستعد، أدرَک أساتذته من البدایة ذکاءه النادر فی فهم المسائل العلمیة وتعلّمه العلوم البلاغیة والکلامیة، وما لبث أن بَرع فی العلوم النقلیة والعقلیة، وانفرد فی عصره وطار صیته فی العالم.» (آل رسول، ۱۳۸۳ش: ۱۴) یقول جامی عن دراسته: «ثمَّ انصرفتُ إلی کسب العلوم وتابعت العلماء والفضلاء.» (جامی، ۱۳۴۱ش: ۶۰)

وأمّا أساتذة جامی الذین تَوَلّوا أمر تعلیمه فی هرات، فیحصیهم عبد الغفور تلمیذ

جامی علی ترتیب أقدَمیتّهم، ویقول: «ولما جاؤوا إلی هرات، کان فیها مولانا جنید، وهو رجل بارع فی العلوم العربیة، وحینما حضر جامی درسه کان جنید مشغولا بتدریس شرح المفتاح أو المطوّل، وقد أحَسّ جامی برغبته فی الإلمام بهذا العلم، وانصرف إلی قراءة المطوّل وحاشیته، ثمّ شارک فی درس مولانا خواجه علی السمرقندی، الذی کان من أعاظم المدققین فی عصره، وهو أذکی وأقوی تلمیذ للسید الشریف الجرجانی، وبعد ذلک کان یذهب إلی أبیه مولانا محمد الجرجانی، وهو من الفضلاء الباحثین فی عصره.» (لاری، ۱۳۴۳ش: ۱۱)

وبعد مضی عدة سنوات، ترک جامی هرات، وذهب إلی مدینة سمرقند لیواصل دراسته، وهناک تعرّف علی معلم جدید یقول عنه لاری: «بعد ذلک حضر فی سمرقند فی درس قاضی زاده الرُومی، وهو کان من المحققین فی عصره. فی زیارته الأولی وقع بینهما بحث، وطال هذا البحث حتی استطاع جامی اقناع الأستاذ بکلامه.» (المصدر نفسه: ۱۲)

کما ورد آنفا کان جامی تلمیذا سریع الخاطر، ومتقدّما فی العلوم بسرعة لاتوصف، علی رغم أنّه لم یکن یحضر فی صفوف الدرس کسائر التلامیذ، کما یقول لاری عنه: «فی أیّام دراسته التی کان فیها مهتّما بالدرس فی کثیر من الأوقات، کان یأخذ الکرّاسة من أحد زُمَلائِه، ویأخذ فی مطالعتها لحظة، وعند الحضور فی الدرس کان یفوق الحاضرین فی الصف. کانت مدّة دراسته قصیرة وبراعته فی العلوم الحقیقیة والرسمیة من الأصول معروفة ومن الفروع مشهورة.» (لاری، ۱۳۴۲ش: ۱۰)

وکان ذکاؤه بحیث یتفوّق علی أساتذته، وهذه قضیة یؤیّدها کلّ من کان علی صلة به، وهو نفسه أول شخص یُعبِّرُ عن هذا الموضوع ویقول: «ما کانت مدّة دراستی عند أساتذتی طویلة بحیث أنّهم ما غَلَبوا علیَّ فی الدرس ولکنّی غلبت علیهم، وکنّا فی المستوی الواحد فی العلم ولیس لهم فی ذمّتی حقٌّ علیّ بوصفهم أساتذتی.» (حکمت، ۱۳۸۶ش: ۶۴)

ویؤکد براون ما أشار إلیه حکمت قائلا: «کان لجامی ذکاء خاص منذ طفولته،

وكلّما زاد عمره زاد اكتسابه للعلوم أكثر، وكان ينصرف إلى تكميل دراسته عند الأساتذة المشهورين، ولكن ما يلبث أن يتفوق عليهم، ومن ثمّ يكتسبون هم عنده المعرفة.» (براون، ۱۳۵۱ش: ۷۵۰)

ويقول أستاذ جامی، قاضی زاده الرومی: «منذ أن كانت سمرقند وحتى اليوم لم يعبر أحد بحر آمويه إلى شاطئه الآخر بقوة طبع هذا الشابّ، أی جامی، وقوة تصرفه.» (جامی، ۱۳۸۳ش: ۲۱)

هكذا كان جهدُ جامی فی كسب العلوم والمعارف، وقد تَفوّقَ على معاصريه من زملائه وأساتذته وبَلَغ درجاتٍ علميةً ما بلغها أحدٌ فی عصره.

تصوفه

كان من خصائص القرن التاسع انتشارُ عقائد الصوفية فی الممالک الإسلامية عامة وفی إيران خاصة ولاسيّما شرقیّ البلاد. كان من خُلُق تيمور الإكرام والتعظيم لمشايخ الصوفية وأعاظم التكايا، كما أنّه كان إذا دَخَل مدينة يذهب إلى زيارة الشيوخ أولا ثمّ إلى زيارة أكابرهم من الأموات ويستمدُّ منهم العون فی الأمور. هذه العقيدة شاعت بين أعقاب تيمور وأحفاده ولأجل هذا الدعم السياسی تَفَوَّقت الصوفية على الفرق الأخرى فالتحق الكثير من أهل العلم والأدب بطائفة من طوائفها. (جامی، ۱۳۸۶ش: ۶-۷)، ومنهم جامی الذی يقول عن اعتصامه بالصوفية: «دخلتُ فی الطائفة الصوفية الصافية قُلوبهم وهم الذين يعملون بعلمهم وهذا مقصدهم.» (جامی، ۱۳۴۱ش: ۶۱)

والطائفة التی اختارها جامی ومال إليها هی الطريقة النقشبندية التی يقول عنها حكمت: «تشكلّت فرقة معتدلة ولكنها كانت متعصبة لأهل السنة وموافقة لسلاطين العصر فی ماوراء النهر وانتشرت فی أواخر القرن الثامن انتشاراً عظيماً وهذه الجماعة هی الفرقة النقشبندية التی قد أسّسها خواجه بهاء الدين عمر البخاری (المتوفی بسنة ۷۹۱ هـ) وانصرف الكثيرون من الناس إلى هذه الطائفة فی بخارا وسمرقند حتى أقصى خراسان وبعد ذلک فی الهند وشاعت شيوعاً عظيماً.» (حكمت، ۱۳۸۶ش: ۷)

وأمّا سبب انخراط جامی فی الفرقة النقشبندية فلم يكن سبباً عادياً مألوفاً بل كان شبيهاً بالإلهام كما نقل عبد الغفور لاری فی كتابه: «ذات ليلةٍ، كأنّها ليست بليلٍ بَل هی صُبح السعادة الذی أشرق من أفق فضل ذی الجلال والإفضال من مشرق اللطف التقی بقدوة العرفاء الكاملين سعد الملة والدين كاشغری وسمع بأذُن الفطرة أنّه قال: اذهب وخُذ بناصرٍ لا حيلة منه.» (لاری، ۱۳۴۳ش: ۱۲)

وهكذا دعاه سعد الدين كاشغری مرشدُ الطريقة النقشبندية إلى نواحی هرات ولَبّی جامی هذه الدعوة وأسرَعَ إلى هرات، يقول عنه لاری: «هو تأثَّرَ بهذا الحادث وتوجَّه إلى جانب خراسان وأرادَ الوصول إلى سعد الدين الكاشغری.» (المصدر نفسه: ۱۳)

بعد أن رجع جامی إلى هرات وجد سعد الدين الكاشغری لزم الطائفة النقشبندية والتحق بالصوفيه، يقول لاری: «كان يَجلسُ سعد الدين الكاشغری على باب المسجد الجامع فی هرات القريب من بيته ويتكلم مع المتصوفة وكان مَمرّ جامی فی كلّ يوم من هناک، كلّما يمّر أمام الخواجة يقول: هذا رَجلٌ عجيب الكفاية، هو جَذَبنا ولكن لاندری كيف نأخذه. فی أوّلِ يومٍ زاره قال: وقع نَسرٌ فی شَبَكتِنا.» (المصدرنفسه: ۱۳ – ۱۴) استَقَرَّ جامی فی موطن المتصوفة وبدأ بالقيام بأعمالهم والالتزام بشعائرهم تحت إشراف مرشده، ووَضَع قدمه فی طريق السير والسلوک وفی مسيرته تَعَرَّفَ على عدد كثير من شيوخ الصوفية واكتسب الفَوائد الجَّمة منهم. إنَّ آخِر مرشدٍ لجامی ومراد له والذی ما قطع جامی صلته به وكان مُريدَه حتى نهاية عمره هو خواجه ناصر الدين عبيد الله المشهو ر بـخواجه أحرار الذی يقول على أصغر حكمت عنه: «وأما خواجه ناصر الدين عبيد الله مرشد الطائفة النقشبندية فی خراسان وماوراء النهر والذی كان معاصراً لجامی ومعترفاً بعظمته وكان فی مختلف كتبه يخاطبه بالأستاذ والمخدوم، فهو من كبار الرجال فی هذا العصر.» (حكمت، ۱۳۸۶ش: ۷۲)

فالانصراف إلى التصوف كان أكبر حادث فی حياة جامی وقد أحاط بكلِّ جوانبها، وسماته بيِّنةٌ فی آثاره تماماً بحيث أن الحكمة والإرشادات الإلهية ملأت نظمه ونثره.

زواجه وأولاده

تزوَّجَ جامی بإحدی بنات مراده سعد الدین الکاشغری، یقول عنه فخر الدین علی صفی: «ولا یخفی أنّه کانت لخواجة کلان، الابن الکریم لمولانا سعد الدین الکاشغری، بنتان تزوّجت إحداهما من جامی والأخری من راقم هذه السطور.» (حکمت، ۱۳۸۶ش: ۷۶)

وفیمایتعلّق بأولاد جامی جاء فی کتاب رشحات عین الحیوة: «أنجَبَت تلک الصبیّة لجامی أربعة أبناء، ولم یتمتّع الأوّل منهم بالحیاة إلّا یوماً واحداً ولم یُسمّ، والثانی و هو الخواجة صفی الدین محمد تُوفی بعد سنةٍ وحزن جامی علی وفاته حزناً شدیداً والثالث الخواجة ضیاء الدین یوسف وقد وُلد سنة ۸۸۲ هـ والرابع الخواجة ظهیر الدین عیسی الذی أبصر النور تسع سنوات بعد ولادة أخیه الخواجة ضیاء وکانت ولادته سنة ۸۹۱ هـ وتُوفی بعد أربعین یوماً.» (المصدر نفسه: ۷۶-۷۹) وجاء فی کتابمنشآت جامی فی معرض الحدیث عن أولاده: «لقد مات أولاد جامی کلّهم فی حیاته إلّا ضیاء الدین یوسف، ونظم مولانا فی رثاء ولده صفی الدین قصیدة فی سبعة مقاطع مؤجّجة بعاطفة الحزن الشدید. وکان مولانا جامی یحبّ ولده ضیاء الدین یوسف حبّاً جمّاً ولهذا السبب نری أنّه یذکر اسمه فی آثاره المنظومة والمنثورة وینصحه ویدعوله بالخَیر.» (جامی، ۱۳۸۳ش: ۳۴)

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

وفاته

یتحدث عبد الغفور لاری عن وفاة أستاذه ـ جامی ـ قائلا: «عاش جامی إحدی وثمانین سنة وکان هذا بعدد حروف کلمة کأس.» فحینئذٍ أخذ الساقی فی حانة وحدة ذی الجلال والإفضال کأس لقاء الرب بیده وذلک فی الثامن عشر من محرم الحرام سنة ثمان وتسعین وثمانمائه، وفی السنة الأخیرة من عمره بدت آثار الموت علیه وکان یتَفّوهُ بعبارات تدلّ علی دُنوّ رحیله ویسعی فی إعداد الآخرین للمفارقة ویُکَرِّرُ هذین البیتین:

– واحسرتاه فإن الدهر سَيُنبِتُ الزهر وسيأتى الربيع كثيراً ونحن لسنا موجودين.

– تأتى الشهور وتنقضى وإنّنا تَبدّلنا إلى التراب وإلى اللبنات.

وقبل مرضه بعدة أيام عزم جامى على الذهاب إلى إحدى مناطق المدينة، اضطرب الأصحاب لحاله وطلبوا منه الرجوع ولكنه قال: يجب أن نترك بعضنا بعضاً.

وخاطب أحدَ مريديه، قبل مرضه بثلاثة أيّام، قائلاً: «أشهد أننا لسنا رَهين محبّة أحدٍ. وبعد رجوعه إلى البيت بدأه المرض؛ وفى صباح يوم الجمعة، اليوم السادس من مرضه، والثامن عشر من محرم الحرام، كشفت حركة نبضه عن قرب رحيله إلى دار القرار... فما إن نؤدى للصلاة من يوم الجمعة حتى رحل جامى من مقام الفناء إلى دار البقاء... وفى صباح يوم السبت حضر فى جنازته حاكم الزمان السلطان بهادر خان مع كبار الأمراء والوزراء و أكابر الزمان، وذهبوا بها إلى مقبرة سعد الدين الكاشغرى. ففتحت الأرض فمها كالصدف وجعلت هذه اللؤلؤ القيّمة فى صدرها.» (لارى، ١٣٤٣ش: ٤٠ –٤٤)

شاعريته

من أهم القضايا التى دعت إلى القيام بهذا البحث هى طبع جامى الشعرى إذ نراه أنه كان شاعراً كبيراً جدّاً وسِجّله الأدبى مملوءٌ بالأشعار البديعة واللطيفة، والمعانى العميقة والحكيمة، ولهذا السبب يُعرف فى إيران بأكبر شاعرٍ فى القرن التاسع للهجرة ولُقِّبَ بخاتم الشعراء، يقول على أصغر حكمت فى هذا المجال: «كان من كمالات أستاذ جام ذوقه الشعرى الذى اشتهر به فى عصره؛ وقد كان معروفاً بشاعريته عند أكثر الناطقين باللغة الفارسية فى إيران وتركستان والهند، ولُقّبَ بخاتم الشعراء لأنّه انقضى بوفاته نظم الشعر بأسلوب الشعراء القدامى؛ الأسلوب الذى كان مُتَّبَعا فى خراسان وفارس والعراق؛ وبعد وفاته حتى القرن الثالث عشر لم يشرق نجمٌ مثل تلك النجوم القديمة فى أفق الأدب الفارسى.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ١١١)

كان الشعر أمراً فطرياً عند جامى، فأكَبَّ على نظم الشعر طوال عمره من شبابه إلى مشيبه. وقد أقَرَّ بأنّه ما استطاعَ أن يَترُك نظم الشعر فى كلِّ وقت من الأوقات، ويقول

فى مقدّمة ديوانه الأول عن مَقدُرته الفطرية فى نظم الشعر: «الفقير المنكسر، عبد الرحمن جامى، الذى لم يتخلّص من ظلام الكَون بسبب أنّ الله تعالى جعل فى فطرتى ذوق نظم الشعر والحبّ له، وما استطعتُ أن أزيله تماما عن صفحة قلبى أبداً. لا جَرَم أنّ من بداية الشباب الذى هو عنوان صحيفة الحياة حتى اليوم الذى تجاوز عمرى الستين وهو قريب من السبعين، ما كان التحرّر منه ممكناً وما كان لبالى راحة منه.» (جامى، ١٣٨٣ش: ٢٦)

يشكو جامى من اشتغاله بنظم الشعر فى قصيدته رشح بال بشرح حال، ويقول:

– مررتُ من جبل الطور ولكن ما استطعتُ أن أترک نظم الشعر أبداً.

– تُبتُ من نظم الشعر آلاف المرات ولكن ما وُفِّقتُ بتركه. (جامى، ١٣٤١ش: ٦١)

يُشير عبد الغفور لارى إلى شغف أستاذه بإنشاد الشعر طول حياته بقوله: «إنّه كان ينظم الشعر فى جميع الأوقات وكان منشغلاً به فى أوائل الحال وفى وقت الكمال. ولكنّه لم يُخَصّص له من الوقت إلّا قليلاً.» (لارى، ١٣٤٣ش: ٦)

كان جامى يحدّد لنظم شعره قسما يسيرا من وقته لِأنّه كان ذا مَقدرة فذّة فى قرض الشعر من جانب، ومن جانب آخر كان الشعر أصغر كمالٍ بين كمالات جامى وأقلّ فن بين فنونه الأخرى القيّمة، يقول لارى: «كان الشعر لثاماً لوجه الأسرار، الشاعرية ساترة لحاله، فهذان الأمران كانا فى الحقيقة سدّين لفضله وكماله، وكان الناس يعتبرون الشعر من أفضل فضائله ولكنّه هيهات، إنّ الشعر مُكوَّن من الخيال وأين الكمال من الخيال؟» (المصدرنفسه: ٩)

أصبح جامى مشهوراً بشعره بحيث طار صيته إلى أقصى نقاط العالم ولفت انتباه الملوک والسلاطين فى البلاد الأخرى وكانوا يعجبون بشعره وقد أشار الشاعر نفسه فى قصائده إلى مكانته الشعرية التى وصل إليها:

– أصبحتُ مشهوراً بشعرى فى كلِّ العالم بحيثُ قد ملأت السماء من هذا النشيد،

– لو ذهبت قافلة أشعارى إلى فارس لرضيت بها روح سعدى وحافظ.

– ولو اتّجهت إلى الهند لقال خسرو والحسن يا غريب العالم مرحباً بک، تعال تعال. (جامى، ١٣٤١ش: ٦١)

كان جامى عالما متواضعا وهذه الميزة بارزة فى جميع أحواله وآثاره ويشهدُ به كلُّ أصحابه وأقرانه ولهذا السبب نراه عندما يتحدّثُ عن مواهبه وعلمه بحيثُ يَشعرُ القارىء بأنّه مغترٌ بنفسه، يسعى بسرعة إلى تدارک الأمر والرجوع إلى تواضعه المعهود، ويقول:

– الفضائل التى أحصَيتُها لنفسى فى هذه القصيدة كانت خطأ ومحالا.

– التظاهر بالعلم عملٌ سَيِّءٌ، ولهذا من الأفضل أن يُكتَب اسمى فى فهرس الجُهّال. (المصدر نفسه: ۶۱)

جامى والأدب العربى

كان جامى مُلِمّا باللغة العربية وأسرارها متذوقا لآدابها؛ جاء فى كتاب جامى: «لقد كان شاعرنا جامى ذا باع طويل فى علوم التفسير، واللغة، والتاريخ، والحديث، والشعر، بحيث أثّر ذلک تأثيرا بالغا على نتاجاته الفارسية من جهة تركيب الجمل والكلمات حينا ومن جهة اتخاذ النصوص والمعانى حينا آخر؛ وكان له فى الأدب العربى كنزٌ وافرٌ وخزانة كاملة قد نَثَر منه اللآلى الرطيبة والدُرَر الملّونَةَ على بساطه العلمى.» (حكمت، ١٣٨۶ش: ١٢۶)

وبراعتُهُ فى اللغة العربية كانت بحيث أنّه ألَّفَ حولها كُتُباً قيّمَة أصبحت مرجعا لطلّاب علوم هذه اللغة؛ يقول حكمت: «كِتابُ الفوائد الضيائية الذى ألّفه لولده ضياء الدين يوسف شرحٌ لكتاب الكافية، لابن حاجب، ويعتبر عند المحققين من أحسن الكتب فى علم النحو، ويقوم بتدريسه معلّمو اللغة العربية حتى يومنا هذا ويستعينون به لمعرفة ما صعُب عليهم من هذا الفن.» (المصدرنفسه: ١٢٧)

جاء فى كتاب روضات الجنات تفسيراً لكتاب الفوائد الضيائية، مايلى:

«وهو من أحسن ما كتب فى هذا الموضوع، وأدّقها نظراً، وأبلغها تقريراً وأتمّها تهذيباً وتحريراً، وأجمَعها للنكات والدقائق والتحقيقات، ونُقِلَ عن المولى ميرزا محمد الشروانى الفاضل قوله: إنى درست هذا الشرح خمساً وعشرين مرة وصار اعتقادى فى كل مرة أنّى لم أستوف حق فهمه ومعرفته فى المرة السابقة.» (المصدرنفسه: ١٢٧)

كان جامی بارعاً فی ترجمته للنصوص العربية أيضاً وقد قام بترجمة كثير من المعانی العالية التی وردت فی القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأخبار أعاظم الصوفية، وأمثال العرب، وحكمهم، وأشعارهم إلی اللغة الفارسية؛ وكانت قصائده الأخلاقية مرآة للأفكار العربية وآدابها، وكانت غزلياته التی ضمّت فی طيّاتها أبياتا عربية من أحسن الصُور وأجمل الأمثلة لامتزاج اللغتَين الفارسية والعربية، فاتّصفت نتاجاته بفصاحة كلام الناطقين بالضاد وبلاغتهم، وجزالة كلام أبناء العجم. (المصدرنفسه: ۱۲۷–۱۲۸)

فمن النماذج الدالة علی ذلک قوله:

أحنّ شــوقا إلــی ديار لقيت فيها جمال ســلمی

كه ميرســاند از آن نواحــی نويد لطفی بجانب ما

زهــی جمال توقبله جان حريم كوی توكعبه دل

فإن ســجدنا إليک نسجد وإن سعينا إليک نسعی

بكت عيونی علی شــؤونی فساء حالی ولا أبالی

كه دانم آخر طبيب وصلت مريض خود را كند مداوا

بناز گفتی فلان كجايی چه بود حالت در اين جدايی

مرضت شوقاً ومت هجرا فكيف أشكو إليک شكوی

(جامی،۱۳۴۱ش: ۱۲۷)

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

آثاره ونتاجاته

ترک لنا عارف جام آثاراً عديدةً بدأ بتأليفها من منتصف عمره إلی آخره؛ ومواضيع تأليفاته مختلفة كما عبّر عنها علی أصغر حكمت قائلاً: «قد ظهرت ملكة التأليف والتحرير عند أستاذ جام من أواسط عمره، إذ إنّ فترة نبوغه وظهور تأليفاته تقع فی القسم الثانی من عمره أی من الأربعين حتی الثمانين وما كتب خلال هذه الفترة ينقسم من حيث الشكل إلی نوعين، الكتب الفارسية والكتب العربية، ومن حيث المضمون إلی أنواع مختلفة: كالتفسير، والفقه، والعرفان، والحديث، والأخلاق، والشعر بقوالبه المتعددة

كالقصيدة والغزل، والعلوم اللغوية بفروعها المتنوّعة كالصرف والنحو، والعروض والقافية، والمعما، وتراجم الرجال ومضامين أخرى. وتنقسم آثاره الفارسية إلى فئتين هما النظم والنثر.» (حكمت، ۱۳۸۶ش: ۱۶۵)

وكثير من كتب تواريخ الأدب ذكرت فهرسا لآثار جامى ولكن أدّقها وأوثقها ما جاء فى تكملة رضى الدين عبد الغفور لارى مريد جامى ومرافقه فى حياته. فهو يُحصى لأستاذه سبعة وأربعين مؤلّفاً يأتى شرحه فى التالى:

«۱. التفسير، وتوقف تفسيره عند آية (وإياى فارهبون).

۲. شواهد النبوة.

۳. نفحات الأنس، مطبوع عدة مرات فى الهند وفى طهران.

۴. نقد النصوص، مطبوع فى بمبئى قبل مئة سنة تقريبا.

۵. رسالة طريقه خواجگان، طبع فى الهند.

۶. أشعة اللمعات، مطبوع فى الهند وإيران.

۷. شرح فصوص الحكم، طبع فى مصر والهند.

۸. لوامع.

۹. شرح لبعض أبيات تائية ابن الفارض.

۱۰. شرح القصيدة الخمرية الميمية الفارضية.

۱۱. شرح الرباعيات.

۱۲. اللوايح، طبع فى الهند وإيران.

۱۳. شرح بيتين من كتاب المثنوى، طبع فى كابل.

۱۴. شرح بيت لخسرو دهلوى، مطبوع فى إيران.

۱۵. شرح حديث أبى ذر بن عقيل.

۱۶. شرح سخنان خواجه پارسا، طبع فى الهند.

۱۷. ترجمة أربعين حديثا.

۱۸. رسالة تحقيق مذهب الصوفى والمتكلم والحكيم.

۱۹. رسالة فی الوجود.

۲۰. رسالة جواب وسؤال هندوستان.

۲۱. رسالة لا إله إلا الله.

۲۲. رسالة مناسک حج.

۲۳. هفت اورنگ مشتمل بر هفت کتاب:

۲۴.الکتاب الأول، سلسلة الذهب الذی طبع فی الهند وإیران وطاشکند.

۲۵. الکتاب الثانی، سلامان وأبسال الذی طبع فی إیران وطاشکند وإنجلترا.

۲۶. الکتاب الثالث، تحفة الأحرار الذی طبع فی إنجلترا.

۲۷. الکتاب الرابع، سبحة الأبرار الذی طبع فی الهند وإیران.

۲۸. الکتاب الخامس، یوسف وزلیخا الذی طبع فی إیران والهند وطاشکند وإنجلترا وألمانیا.

۲۹. الکتاب السادس، لیلی ومجنون الذی طبع فی إیران وطاشکند وباریس وألمانیا.

۳۰. الکتاب السابع، خرد نامه اسکندری.

۳۱. الدیوان الأول.

۳۲. الدیوان الثانی.

۳۳. الدیوان الثالث.

۳۴. بهارستان والذی طبع فی الهند وإیران وترکیا عدة مرات وفی ألمانیا وإنجلترا.

۳۵. الرسالة الکبیرة المعروفة بمعمّا (اللغز).

۳۶. الرسالة المتوسطة.

۳۷. الرسالة الصغیرة.

۳۸. منظومة أصغر التی طبعت فی هرات.

۳۹. رسالة العروض والتی طبعت فی کلکتة.

۴۰. رساله القافیة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

۴۱. رساله الموسيقی.

۴۲. رسالة المنشآت.

۴۳. الفوائد الضيائية فی شرح الكافية والذی طبع فی إيران عدّة مرّات.

۴۴. شرح قسم من مفتاح الغيب الذی لم يطبع.

۴۵. صرف فارسی منظوم ومنثور.

وفی مناسک الحجّ كَتَبَ جامی رسالتين:

۴۶. رسالةصغيرة، وهی المشهورة.

۴۷. ورسالةكبيرة، وقدألّفها علی أساس فقه المذاهب الأربعة، وهو فی طريقه إلی مكّة، وفقدت فی عرفات ولهذا السبب ليست معروفة.» (لاری، ۱۳۴۳ش: ۳۹)

النتيجة

عاش جامی فی عصر كان التصوف من أهمّ ظواهره. ومما ساعد علی انتشاره واشتداد شوكته هو أن الملوک التيموريين وأمراءهم كانوا من حماته فی منطقة حكمهم، وكان بلاطهم مختلف العلماء والأدباء فجمعوهم علی التصوف فقوی بهم وانتشر بين الناس انتشارا سريعا.وجامی الذی لقب بخاتم الشعراء بسبب أسلوبه الخاص فی الشعر قد وظّف قلمه لخدمة التصوّف ونشر تعاليمه فحمل بذلک رايته وبلّغ رسالته.

المصادر والمراجع

آل رسول، سوسن. ۱۳۸۳ش. *عرفان جامی در مجموعه آثارش*. تهران: وزارت فرهنگ وارشاد اسلامی.

براون، إدوارد. ۱۳۵۱ش. *از سعدی تا جامی*. ترجمه علی اصغر حكمت. تهران: انتشارات ابن سينا.

جامی، عبدالرحمن. ۱۳۴۱ش. *ديوان كامل*. ويراسته هاشم رضی. تهران: انتشارات پيروز.

جامی، عبدالرحمن. ۱۳۸۳ش. *رساله منشآت نورالدين عبدالرحمن جامی*. مصحح عبدالعلی نور احراری. تهران: شيخ الإسلام أحمد جام.

حكمت، علی اصغر. ۱۳۸۶ش. *جامی (متضمن تحقيقات در تاريخ احوال وآثار منظوم ومنثور خاتم*

الشعراء نورالدین عبد الرحمن جامی). تهران: انتشارات توس.
زرین کوب، عبد الحسین. ۱۳۶۳ش. *سیری در شعر فارسی*. تهران: انتشارت نوین.
لاری، رضی الدین عبدالغفور. ۱۳۴۳ش. *تکمله حواشی نفحات الأنس (شرح حال مولانا جامی)*. تصحیح بشیر هروی. تهران: انتشارات انجمن جامی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی